الباب الثانى

فى فضل اقتنائها واعدادها للجهاد

وما ورد فى ذلك من مواقع النجوم الأعجاز وتفسيره بوجوه الأيجاز

قال الله تعالى منوها بفضلها فى معرض القسم إذ هو دليل التعظيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [1] السورة مدنية وقيل مكية. الباء من بسم الله على القول الراجح بأنها آية من كل سورة والواو الأحسن أن تكون للقسم بقرينة السياق والكلام فى بقيتها مشهور والعاديات خيل الغزاة على الراجح واختاره القاضى ويؤيده ما بعده ﴿ ضَبْحًا ﴾ الضبح صوت أنفاسها، قال عنترة:

الخيل تكدح حين تضج فى حياض الموت ضبحا

وانتصابه على المصدر بفعل محذوف والجملة حال إن كانت اللام للعهد ويحتمل الصفة إن كانت للجنس أو بالعاديات لأنها فى معنى الضابحات. قال القاضى: لأنها تدل بالألتزام على الضابحات فكأنه قال والضابحات أو على الحال فالمصدر بمعنى اسم الفاعل.اقسم بها والقسم غاية التعظيم ولأحجل ذلك نهينا عن القسم بغير الله لما

---

(١) سورة العاديات الآية ١

فيه من التعظيم الذى لايليق إلا به سبحانه. وأما قسمه تعالى ببعض مخلوقاته فأشارة إلى تعظيمه وإخراجاً للكلام مخرج التأكيد بما يعرفه العباد. والعدو احضار الفرس وهو جريه وهو أنواع منها الهملجة وهى أول ارتفاع الفرس عن العنق الذى هو سرعة المشى. والأضطرام ومنه فرس مضطرم وتسمى الألتهاب كأنه استعارة من التهاب النار. ومنها الرديان يقال ردى يردى كضرب يضرب ردياً ورديانا وهو أن يرجم الأرض بحوافره رجماً ومثله التقريب وتسميه العرب الآن هرفاً. والضبر وهو الوثب والحناف وهو سيرلين سهل. والضبع وهو أن يمد الفرس ضبعيه حتى لا يجد مزيداً، وقيل هو الضبح المذكور فى الآية فيكون مصدراً نوعياً كقولك قمت انتصاباً ويجوز الحال أيضاً. وخص القسم بهذا الوصف لأنه أخص صفاتها وقيد للمبالغة فيه. ولما كان عدوها ينشأ منه اقتداح النار من حوافرها رتبت الجملة الثانية بالفاء وكذلك مابعدها فقال ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾[1] ألا يراء اخراج النار والقدح ضرب أحد الزندين بالآخر يقال قدح فأورى إذا ظهرت منه نار وقدح فأصلد إذا لم يظهر منه نار وانتصاب قدحاً على التميز وبما انتصب به ضبحاً. والنار التى تخرج منها تسمى نار الحباحب ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾[2] انتصابه على الظرف ويأتى فيه ما سبق يقال صبحتهم الغارة وهى الهجوم على القوم وأكثر ما تكون فى الصحب لأنه وقت الغفلة وسكون الحواس والحراس ومنه قولهم واصباحاه للأنذار ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾[3] النقع الغبار وقيل الصباح.

---

(١) سورة العاديات الآية ٢

(٢) سورة العاديات الآية ٣

(٣) سورة العاديات الآية ٤

قال فى الأساس من المجاز ثار الغبار والدخان انتهى أى أن أصل الفعل الثوران بمعنى الهيجان ومنه ثار القطا واثرت الصيد ففعله أجوف ثم شبه ارتفاع الغبار وظهوره بأقلاع الصيد عن كناسه وظهوره فه من باب الاستعارة التبعية والضمير فى ربه للصبح أو للحى المغار عليه المفهوم من المغيرات فالباء ظرفية وجوز كونها للعدو المفهوم من العاديات فهى سببية ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [1] اتين وسط الجمع أى توسطنه فجمعاً مفعول فيه والضمير المجرور للوقت أو النقع أو العدو. ولا يخفى معانى الباء على كل.

ويجوز أن يكون للراكب المفهوم من المقام ولعله أولى فتكون الصفات الأول للخيل وهذا للغزاة مشعر بشجاعتهم وثباتهم واقتحامهم لجج الحروب اثر وصف خيلهم بأمدح صفات الخيل ففيه تنويه بتعظيمهم وحثهم على الجهاد بأبلغ وجه. هذا وحظ الصوفى من هذه الآية بطريق الأشارة أن يكون الأشارة بالعاديات إلى نفوس المجاهدين فى طريق الله المسمى بالجهاد الأكبر وذلك لأن فائدة الجهاد الظاهرى الآخروية موقوفة على هذا الجهاد كما ورد فى الصحيح « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فذاك فى سبيل الله » فأشار الرسول ﷺ إلى اشتراط الإخلاص فى الجهاد والإخلاص نتيجة الجهاد الباطن ولا يحصل إلا به فالنفوس إذا اطمأنت سارعت إلى طاعة الله تعالى مسارعة الخيل المغيرة وضبحها لهجها بذكر الله تعالى كما ورد هجير أبى بكر لا إله إلا الله وزفراتها حنينها واشتياقها وايراء قدحها تلهب احتراقها قال عارفهم:

وان اجنّك ليل من توحشها . فاقدح من الشوق فى ظلماتها قبسا

فأذا دأبت على ذلك هجم بها الكدح على شروق ضوء الفتح فلاح لها تباشير أنوار شمس الحقيقة عند سماع منادى الفلاح ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2]

---

(١) سورة العاديات الآية ٥

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧

فهناك تبدو طلايع العباد وتنصر جيوش الأيمان وتخفق بنود رأيات الأحسان وتدبر هاربة جيوش الهوى والشيطان فيثور إذ ذاك من معترك الأغيار غيهب الغبار حتى ينقشع عن ظهور شمس الجمع متوسطة فلك الأعتدال فيلبس الكل حلة الكمال ويكون الأشارة بالتوسط إلى مقام الأستواء الذى إليه فى السلوك المنتهى وما بعده إلا محض المواهب المعبر عنها بالجذبات وهو المقام الذى أشار إليه أستاذنا قدس الله سره العزيز فى همزيته فى المدائح النبوية قائلاً فى وصف الرسول الأعظم مع الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم:

وغدا ختمهم عليه عروس الجمـــ ـــع تجلـــى فى حلة الأســـتواء

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [1] واعدوا أى اتخذوا عدة لهم أى لحربهم والقوة كل ما يتقوى به فى الحرب. وعن مجاهد[2] رحمه الله تعالى القوة الخيل الذكور ورباط الخيل الأناث لكن فى صحيح مسلم عن عقبة بن عامر[3]

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المخزومى مولى السائب بن أبى السائب، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. ولد سنة ٢١هـ ومات سنة ١٠٠هـ وقيل سنة ١٠١هـ.
أنظر المزيد فى : شذرات الذهب ١٢٥/١، طبقات المفسرين للداودى ٥٠٣/٢، خلاصة تذهيب الكمال ٣٦٩، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠، طبقات ابن سعده ٤٦٦.

(٣) هو عقبة بن عامر الجهنى كان فقيهاً علامة قارئا لكتاب الله بصيراً بالفرائض فصيحاً مفوهاً شاعراً كبير القدر، مات سنة ٥٨هـ.
انظر المزيد فى : العبر ٦٢/١، طبقات الفقهاء ٥٢، أسد الغابة ٥٢/٣ الإصابة ٤٨١/٢، تذكرة الحفاظ ٤٢/١.

قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقرأ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ إلا أن القوة الرمى ثلاثاً ولعله كقوله الحج عرفة والحث عليه بتكريره لاقتضاء الحال إياه إذ ذاك.

وروى مكحول[1] تعلموا الرمى فأنه ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى عن النبى ﷺ أنه قال كل شئ يلهو به الرجل باطل إلا ثلاثاً رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته. ثم قال ارموا واركبوا والرمى أحب إلىّ من الركوب قال القاضى كغيره رباط الخيل المرتبطة فى سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر رسمى به، يقال ربط ربطاً ورباطاً ورابط مرابطة ورباطاً يعنى أنه مصدر من المجرد أو المشتق، سميت به الخيل التى تربط أى نقل إلى اسم المفعول أيضاً كالأول أو جمع ربيط كفصيل وفصال انتهى.

وعلى كل فالرباط المراد به الخيل فالأضافة فى الآية بيانية ويكون كل ما ورد فى فضل الرباط وارد فى فضل الخيل ومنه قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[2] أى ارتبطوا الخيل فى الثغور والأمر فى الآيتين للوجوب لكنه محمول على الكفاية ما لم يتعين ويجوز أن يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف فالرابط بمعنى الارتباط.

---

(١) هو مكحول الدمشقى أبو عبد الله الفقيه أحد الأئمة روى عن أنس وواثلة بن الأسقع وأبو أمامة وثوبان. وعنه أبو حنيفة والزهرى وحميد الطويل وابن إسحاق مات سنة ١١٢هـ.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

وعن سلمان[1] الفارسى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم إلا حق عليه أن يرتبط فرساً إذا طاق ذلك ». رواه بسنده الحافظ الدمياطى فى كتاب الخيل ويحمل على ما إذا تعين الجهاد والرباط كما سبق إذ الأرجح أنهما فرضاً كفاية دايما من حين فرضا إلى يوم القيامة وربما تعينا أو أحدهما كما هو مبسوط فى كتب الفقه.

وقوله ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [2] هم الكفرة من كل فرقة وقيل المشركون وقيل هم واليهود الذين بقربهم ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ [3] قال مجاهد: هم بنو قريظة أى على الثانى وقال السدى[4] أهل فارس وقال الحسن[5]: هم المنافقون وقيل هم كفرة الجن وهم يفزعون من صهيل الخيل.

---

(١) هو سلمان الفارسى صحابى من مقدميهم كان يسمى نفسه سلمان الإسلام وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق، أصله من المجوس وعاش طويلاً ، مات سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م.
أنظر المزيد فى: طبقات ابن سعد ٤/٥٣-٦٧، تهذيب ابن عساكر ٦/١٨٨، الإصابة ت ٣٣٥٠، مروج الذهب ١/٣٢٠، الذريعة ١/٢٣٣-٣٣٣، محاس أصفهان ٢٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدى تابعى حجازى الأصل، سكن الكوفة قال فيه ابن تغرى بردى: صاحب التفسير والمغازى والسير وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس.
أنظر المزيد فى: اللباب ١/٥٣٧، النجوم الزاهرة ١/٣٠٨.

(٥) هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى زد بن ثابت وقيل جابر بن عبد الله وقيل أبو اليسر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، قال أبو بردة: أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن. مات سنة ١١٠هـ.
أنظر المزيد فى : طبقات ابن سعد ٧/١٥٦،طبقات خليفة ٢١٠، تاريخ البخارى ٢/٢٨٩.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: « أنهم الجن ثم قال إن الشيطان لا يخبل أحداً فى دار فيها فرس عتيق » كما سبق.

وفى الآية إشارة لطيفة وهى ما ختمت به من قوله ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾[1] وهى التشجيع على اقتناء الخيل وعدة الجهاد وان ما ينفق على ذلك مستخلف مع الثواب عليه، كما ورد فى الصحيح عن ابن عباس وأبى أمامة الباهلى[2] وأبى الدرداء[3] ومكحول وحنش بن عبد الله الصنعاني[4]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٢.

(٢) هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلى أبو أمامة صحابى كان مع على فى صفين وسكن الشام، فتوفى فى أرض حمص وهو آخر من مات من الصحابة.

انظر المزيد فى: تهذيب ٤/٤٢٠ ، الإصابة ت ٥٤ ٤٠ ، تاريخ ابن عساكر ٦/٤١٧،صفة الصفوة ١/٣٠٨، ذيل المذيل ٣٣.

(٣) هو أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى وكان يقال هو حليم هذه الأمة، شهد أحداً وأبلى يومئذ بلاء حسناً، كان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم. مات سنة ٣٢هـ.

انظر المزيد فى أسد الغابة ٦/٩٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٤، خلاصة تذهيب الكمال ٢٥٤، شذرات الذهب ١/٣٩، طبقات الفقهاء ٤٧، طبقات القراء لابن الجزرى ١/٦٠٦، طبقات القراء للذهبى ١/٣٨، العبر ١/٣٣، النجوم الزاهرة ١/٨٩.

(٤) هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة البسنى الصنعانى تابعى شجاع من القادة كان من أصحاب على وشهد معه الوقائع، فلما قتل على انتقل إلى مصر فأقام بها. وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت والأندلس وأسس جامع قرطبة وتوفى بسرقسطة سنة ١٠٠هـ/٧١٨م.

انظر المزيد فى: جذوة المقتبس ١٨٩، الروض الأنف ٢/٢٤١.

والأوزاعي[1] وعن عريب المليكى[2] مرفوعاً أن قوله تعال: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] نزلت فى أصحاب الخيل فى سبيل الله تعالى. ويؤيده ما روى عن أبى كبشة[4] أنه قال: قال رسول الله ﷺ « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة »[5].

ولفظ الحديث يتناول مطلق الخيل ويأتى الكلام على هذا الحديث وأشباهه مستوفى إن شاء الله تعالى.

وسماها الله عز وجل خيراً فى قوله سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّي

---

(١) هـو عـبد الرحمن الأوزاعى بن عمرو أبو عمرو إمام أهل الشام فى وقته نزيل بيروت . روى عن عطاء وابن سيرين ومكحول وخلق. وعنه أبو حنيفة وقتادة ويحيى بن أبى كثير والزهرى وشعبة، مات سنة ١٥٧هـ.

انظـر المزيد فى : تذكرة الحفاظ ١٧٨/١، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦، خلاصة تذهيب الكمال ١٩٧، العبر ٢٢٧/١.

(٢) ورد فى ذكره بعض المصادر.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٤.

(٤) هـو يزيد بن جبريل أبى كبشة بن يسار السكسكى أمير كان مقدم السكاسك وصاحب شرطة عـبد الملك بن مروان وولى الغزاة ثم ولاه الوليد إمرة العراقين بعد وفاة الحجاج. ولما استخلف سـليمان، ولاه إمارة "السند" فمات بعد وصوله إليها بثمانية عشر يوماً. قال الذهبى: كان من خيار الأمراء.

انظر المزيد فى : الكامل ٢٢١/٤، جمهرة الأنساب ٤٠٥.

(٥) ورد عند الدارقطنى والترمذى.

أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾ [1] وملخص هذه القصة أن سليمان عليه السلام غزا مدينة من مدن الشام فأصاب منهم ألف فرس فقط يوماً على كرسيه من بعد الظهر يستعرضها حتى غربت الشمس واشتغل بها فنسى ورده الذى كان يفعله ذلك الوقت من صلاة أو ذكر وقيل أنه ورثها من أبيه وفيهما أن المغانم لم تحل لغير نبينا والأنبياء لا تورث. وربما يجاب بأنها كانت فيئاً. وفيه أن الفئ يطلق على الغنيمة والغنيمة على الفئ والظاهر من قوله تعالى: ﴿ وأحلت لى الغنايم فى معرض الأختصاص ﴾ على أن المراد بها مايشمل الفئ وإن كانت لبيت المال أشكل عقرها. والحاصل أقرب الأقوال إلى القواعد ما قيل أنها بحرية أخرجت من البحر لها أجنحة أو خيله التى كانت تحت يده وهابوه أن ينبهوه فاغتم لما فاته واستردها وطفق يمسح أعناقها وسوقها بالسيف أى يقطعها من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه. وفي الكشاف[2] عقرها تقربا إلى الله تعالى وبقى منها ماية فما فى ايدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدلنا الله تعالى خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب انتهى.

فإن قيل كيف جاز عقره هذه الخيل وهو اضاعة للمال وهو غير جايز شرعاً قلت يحمل إن صحت الرواية على أنه ذكاء شرعية فيكون أباح لحومها للفقراء فهو من التقرب بالمال. وهذا على كونها مأكولة ويأتى الخلاف فيه فى شرعنا أو أنه شرع له. أما فى شريعتنا فلا يجوز مثل ذلك بل سبيله التصدق بها وتحبيها فى

---

(١) سورة ص الآية ٣٠.

(٢) للزمخشرى.

سبيل الله كما روى أنه وسمها بميسم الصدقة على سوقها وأعناقها وحبسها فى سبيل الله تعالى، كما ورد عن بعض السلف رضى الله تعالى عنهم أنه كان له مال فى مكان فخطر له وهو فى الصلاة ففكر فيه حتى سهى أو كاد فتصدق به كله.

فى الموطأ[1] عن أبى طلحة الأنصارى[2] أنه كان فى حايط له فطارد بشئ فأعجبه وهو طاير فى الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة وهو فى صلاة فلم يدركم صلى فذكره للنبى ﷺ ما آصابه من الفتنة، ثم قال هو يارسول الله صدقة فضعه حيث شئت.

قال مالك وعن عبد الله بن أبى بكر[3] أن رجلاً كان يصلى بحائط له فى القُف فى زمن الثمر والنخل قد دللت فهى مَطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع إلى صلاته فإذا به لا يدرى كم صلى فقال أصابتنى فى مالى هذا فتنة فجاء عثمان وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير فباعه عثمان رضى الله عنه بخمسين ألفاً فسمى ذلك الحايط الخمسون. والحايط بالبستان سمى به لأنه يحوط والقف من أودية المدينة.

قال الإمام الغزالى[4] هذا هو الدواء القاطع لمادة العلة فلا يغنى غيره.

---

(١) للإمام مالك.

(٢) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.

(٣) ورد ذكره فى الإصابة

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ومات سنة ٥٠٥هـ/١١١١م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٤٦٣/١، طبقات السبكى ١٠١/٤، شذرات الذهب ١٠/٤، مفتاح السعادة ١٩١/٢-٢١٠.

وقدس الله سبحانه من لم يشغله شئ عن ذكره بقوله ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾[1] ثم بين الله سبحانه ما أعد لهم على ذلك بقوله: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

وفى الأثر كل ما اشغلك عن الله فهو عليك مشئوم فكانت هذه الخيل لكونها سبباً للأشتغال عن ذكر الله كالناقة التى لعنتها راكبها فأمرها النبى ﷺ بالنزول عنها وبتخليتها وقال لا يصحبنا ملعون.

فإذا كانت هذه صفة بعض عباد الله الصالحين فما بالك بالأنبياء المكرمين ويحمل حال نبى الله سليمان عليه السلام فى هذه القصة على السهر الجايز على الأنبياء ويكون عقر الخيل أما إهانة أو كفارة تشريعاً لأمته وتنزيهاً عن التعرف لأسباب السهر واظهار الحقارة الدنيا فى نظره ولبيان شرف الذكر والعبادة وموقعهما من قلوب الأنبياء صلاة الله عليهم وسلامه حتى أن ألف فرس جواد لاتساوى عند أحدهم غفل ساعة عن ذكر الله تعالى. ويؤيده ما فى الصحيح من فاته صلاة العصر فكأنه وترأهله وماله وأطلق الأهل والمال فيشمل القليل منهم والكثير فربما كان ولد واحد للإنسان أحب إليه من ألف فرس، والأهل يشمل الأولاد والأخوة والزوجات والآباء والأمهات وغيرهم والمال ما قل وما جل فمن فاته صلاة واحدة كان كمن فقد ذلك كله ولو كانت له الدنيا وهو كذلك فأنه ورد أن موضع سموط فى الجنة خير من الدنيا

---

(١) سورة النور الآية ٣٧.

(٢) سورة النور الآية ٣٨.

بأسرها وثواب الصلاة فى الجنة لا يقدر قدره إلا الله تعالى. وانما جاء التشبيه على التقريب بمقدار مايعلمونه.

فائدة هل يجوز للمسلم أن يعقر فرسه فى الحرب كما يفعله بعض الناس يزعم أنه شجاعة يعنى ليكون سبباً لثباته لأنه حينئذ ييأس من الفرار منع العلماء من ذلك لأنه اضاعة مال ومنابذة لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [1]فالفرس من القوة المأمور بأعدادها.

واستشكل بأنه ورد عن جعفر بن أبي طالب[2] رضى الله تعالى عنه أنه اقتحم يوم مؤتة بفرس له شقراء لجة القوم حين التحم القتال ثم نزل عنها وعقرها وقاتل حتى قتل، فكان أول رجل من المسلمين عقر فرسه فى الإسلام.

وأجاب عنه الماوردى[3] من الأئمة الشافعية أنه إنما عقرها لما أحيط به أى وظن أخذها منه فتكون كعقر خيلهم انتهى.

ويعلم منه جواز عقر خيل الكفار كما صرح به هو أيضاً لكن قيده بما

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢) هو جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم صحابي هاشمى من شجعانهم يقال له جعفر الطيار، مات سنة ٨هـ/٦٢٩م.

انظر المزيد فى : الإصابة ٢٣٧/١ ، صفة الصفوة ٢٠٥/١ ، مقاتل الطالبين ٣ ، حلية الأولياء ١١٤/١، طبقات ابن سعد ٢٢/٤.

(٣) هـو عـلى بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردى أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين صاحب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين ولد سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ومات سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

انظر المزيد فى : طبقات السبكى ٣٠٣/٣، الأنساب ١٨٨ الوفيات ٣٢٦/١، شذرات الذهب ٢٨٥/٣، آداب اللغة ٣٣٣/٢.

إذا قاتلونا عليها قال وقد عقر حنظلة بن الراهب[1] فرس أبي سفيان بن حرب[2] يوم أحد واستعلى عليه ليقتله فرآه ابن شعوب فبدر إلى حنظلة وهو يقول :

لأحملن صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

ثم طعن حنظلة فقتله واستنقذ أبا سفيان فخلص وهو يقول:

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم كراً وأدعو بغالب وادفعهم عنى بركن صليب
ولو شئت نجتنى حصان طمرّة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

فبلغ ذلك ابن شعوب فقال مجيباً له حين لم يشكره:

ولولا دفاعى يابن هند ومسهدى لألفيت يوم القف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالقف قرقرت ضياع على أوصاله وكليب

وفى هذين البيتين اختلاف القافية بالأعراب وهو فى أشعار العرب كثير. ومنع بعض الفقهاء من عقر خيل الكفار وإن قاتلونا عليها أما الخيل التى لم يكونوا عليها حالة القتال كالسايمة أو المأخوذة منهم إذا لم يمكن إخراجها من أرضهم فلا يجوز عقرها اتفاقاً ولا ذبحها عند الشافعية، وقالت أئمة الحنفية يجوز ذبحها ويحرقها لئلاّ تبقى لهم بل يكادون بذلك ويأتى حكم الفرس وما يسهم له من المغنم.

تنبيه: وقع فى عبارة القاضي فى هذه الآية بحث قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾[3]

---

(١) ورد ذكره فى الطبقات لابن سعد.

(٢) وهو والد معاوية وهو غنى عن التعريف.

(٣) سورة ص الآية ٣٠ و ٤٤.

أى نعم العبد سليمان إذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله [أنه أو أب] رجاع إلى الله بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له [إذ عرض عليه] ظرف لأواب أو النعم والضمير لسليمان عند الجمهور انتهى فقوله إذا ما بعده الخ إن أراد به أنه أواب فقط فغير مسلم إنه من حال سليمان وحده بل هو من حال داره أظهر على التفسيرين كما لا يخفى فلا دلالة فيه حينئذ على تعيين إرادة سليمان دون داود عليهما السلام وإن أراد المجموع فجعله إذ ظرف لنعم ينافى التعليل ويجاب بأنه أراد المجموع بقرينة قوله والضمير لسليمان عند الجمهور. ومراده الضمير المجرور. فأن عرض الصافنات الجياد كان على سليمان اتفاقاً والظرفية الضمير المجرور فأن عرض الصافنات الجياد كان على سليمان اتفاقاً والظرفية لا تنافى التعليل إذ الظروف تستعمل عللاً كثيراً قال فى المغنى فى معنى إذ أنها للتعليل كقوله تعالى ﴿ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَّلَمْتُمْ ﴾ [1] وهل هذه حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام قولان وغرضنا أن الله سبحانه سماها فى هذه الآية على لسان نبيه سليمان خيراً حيث قال « أنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » فأن المراد بالخير هنا الخيل أما لأن المال يسمى خيراً وهى منه كما قال الله تعالى ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[2] أى مالاً وأما لتعلق الخير بها كما فى الحديث الآتى « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » [3] ويجوز أن يكون التقدير أحببت

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٠.

(٣) متفق عليه.

حب الخير حتى اشغلنى عن ذكر ربى فيكون مضمون الجملة التأسف والتحسر والندم على ما فرط منه والندم توبة فتكون عن متعلقة بالفعل المقدر وحتى توارت غاية لاشتغاله على أن الضمير فى تورات للشمس كما عليه الأكثر لدلالة العشى عليها التزاماً ففيه استعارة مكنية. ويجوز أن تكون غاية للعرض فيكون ذكر ما يدل على التوبة مقدماً للاهتمام. ويجوز أن يكون الضمير للخيل فيكون المراد بالحجاب ما يحجبها عنه لبعدها فى الشأو على الاحتمالين فى الغاية.

وقيل أنه مسح سوقها وأعناقها كرامة لها فعليه يكون الفاء فى قوله فطفق متصلة بقوله عرض عليه ويكون الضمير فى ردوها علىّ للشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردت له الشمس حتى صلى العصر أو ادى مافاته فى ذلك الوقت وهو مروى عن جماعة من الصحابة ففيه معجزة لسليمان عليه السلام ودليل على أن اشتغاله بها كان عبادة وان غفلته ان كانت سهو. وحب الخيل فضيلة كما ورد أنها كانت أحب الأموال إلى رسول الله ﷺ كما روى عن أنس رضى الله عنه « لم يكن شئ أحب إلى رسول الله بعد النساء من الخيل » رواه النسائى. وعن معقل بن يسار[1] « ما كان شئ أحب إلى رسول الله ﷺ من الخيل » ثم قال اللهم غفرا الا النساء. رواه أبو عبيدة وابن سعد من حديث

---

(١) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزنى صحابى أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان وسكن البصرة وتوفى بها سنة ٦٥هـ/٦٨٥م.

انظر المزيد فى: الإصابة ت ٤٤ ٨١، أسد الغابة ٣٩٨/٤.

قتادة[1] عن معقل[2] رضى الله عنه.

وقد وردت الشمس على يوشع بن نون عليه السلام أيضاً بعد موسى عليه السلام لما حاصر الجبارين بأريحا وكان يوم الجمعة فخشى أن تغرب الشمس ويدخل السبت فيحرم عليهم القتال وكانوا أشرفوا على فتحها فدعا الله سبحانه أن يحبس عليه الشمس فحبسها ساعة حتى فتح الله عليهم.

وثبت أنها ردت للنبى ﷺ كذلك حين أخبر قومه صبيحة الأسراء بالرفعة التى رآها ليلته وأنها تقدم فى اليوم الفلانى فلما كان ذلك اليوم خرجت قريش ينتظرون الرفعة حتى ولى النهار ولم تقدم فدعا النبى ﷺ فحبست له الشمس ساعة حتى قدمت الرفعة. وهاتان الواقعتان تسمية رد الشمس فيها مجاز وأنما هو وقوفها وتأخرها عن معتادها.

وفيه رد لما تدعيه الفلاسفة فى عدم تغير شئ من الأوضاع الفلكية كما فى انشقاق القمر الناطق به القرآن.

وورد أيضاً أن الشمس ردت على على رضى الله عنه لما نام رسول الله ﷺ فى حجره ولم يكن على صلى العصر ولم يوقظ النبى ﷺ لكونه يوحى إليه حتى غابت الشمس فلما استيقظ النبى ﷺ وأخبره.

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى البصرى مفسر حافظ ضرير أكمه. ولد سنة ٦١هـ/٦٨٠م ومات ١١٨/٧٣٦م.

انظر المزيد فى : تذكرة الحفاظ ١١٥/١، نكت الهميان ٢٣٠، وفيات الأعيان ٤٢٧/١، المعارف ٢٠٣، إرشاد الأريب ٢٠٢/٦.

(٢) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزنى صحابى أسلم قبل الحديبية، مات سنة ٦٥هـ/٦٨٥م.

قال اللهم إن كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فردت الشمس بعد غروبها حتى صلى العصر. وهى تشاكل قصة سليمان وهو رد حقيقى.

واختلف الفقهاء فى مثل ذلك هل تكون العصر أداء أولاً والراجح الأول. وحديث رد الشمس على علىّ رضى الله عنه صححه الطحاوى[1] وغيره وذكر ابن حجر الهيثمى فى صواعقه قال حدثنى جماعة من مشايخنا بالعراق انهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أزدشير الواعظ. وقد ذكر هذه القصة فى وعظه وأطال فى استيعاب طرقها حتى غاب قرضها وتوارت عن النظر فاستشرف من على كرسيه وقال:

لا تغربى ياشمس حتى ينتهى ... مدحى لآل المصطفى ولنجله
وأثنى عنانك ان اردت ثناءهم ... انسيت اذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قال فانجلت تلك الغمامة وظهرت الشمس بعد أن ظن غيابها وبقيت حتى اتم القصة. وذكر فى هذه الآية وصفين من صفات الخيل أحدهما الصافن وهو من الصفون أو الصفن وهو أن يقف الفرس على ثلاث ويرفع الرابعة بحيث يكون طرف سنبكها على الأرض ايتها كانت وهى صفة مدح لاتكاد توجد إلا فى العراب كذا قيل. الجياد جمع جواد أو جود كثوب أى سريع فى جريه وكأنه من

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى الحجرى المصرى . سمع يونس بن عبد الأعلى وهارون بن سعيد الأيلى ومنه الطبرانى. ولد سنة ٢٣٧هـ وله معانى الآثار.

انظر المزيد فى: البداية والنهاية ١١/١٧٤، تاج التراجم ٨، تذكرة الحفاظ ٣/٨٠٨، لسان الميزان ١/٢٧٤، مرآة الجنان ٢/٢٨١.

الجود بحيث يعطى ما فى قوته من الجرى فوصفها بحسن الوقوف والجرى.

وأما بقية أوصافها مما فيه مقنع فالطرف وهو مثل الجواد قال فى الأساس يقال هو من أطراف العرب أى من اشرافهم وأهل بيوتاتها ورجل طريف كريم الآباء إلى الجد الأكبر ومنه الطرف للفرس الكريم ومثله العنجوج الجمع عناجيج من عناج الدلو للحبل الذى يجعل تحتها ليكون عوناً لها فكأنه فعلول أى كثير العون ومثله اليعبوب. قال :

لا تسقــه مــاءً ولا حليــباً إن لــم تــجده ســابحاً يعبوباً

ومثله الطمى أى السريع كأنه يهوى من طمارٍ أى مكان مرتفع قال الشاعر يصف صقراً :

لسق الريــش تدلــى غــدوة من أعالى صعبة المرقى طمــار

ومن ثم قيل الفرس الطمر المشرف أى العالى ومنها العجازة وهى الشديدة ومن صفاتها المقربة على صيغة المفعول، ووهى الخيل المعدة للحرب لأنها تقرب وتكرم والمراخى وأحدها رخاء أى سريع أيضاً. ومثله السابح والمسبح والبحر والغمر والمحضر والحضر واحضار العدو.

ومن صفات الخيل المسنفات أى المتقدمات فى السير واحدها مسناف من قولهم بعير مسناف يقدم رحله والله أعلم.